Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الأشياء كالحجم والشكل والحركة ، وبين الصفات الثانوية ، وهى الصفات الموجودة فقط فى عيوننا وأنوفنا وآذاننا ، كاللون والرائحة والصوت . غير أنه جعل الصفات الأولى والثانوية بمنزلة واحدة ، وقال بأن الجوهر هو المدرك الحسى ، وحينئذ فإنه قد أعان باركلى (١٧٥٣ م) على أن ينقلب بالمذهب الحسى إلى مذهب مثالى[٣٢] .

وقد بدأ الطابع النفسى فى معالجة نظرية الترابط أو التداعى يتأكد بجهود عالمين آخرين من مفكرى القرن الثامن عشر ، وهما ديفيد هارتلى وديفيد هيوم . وقد أكد هارتلى أهمية الشعور باعتباره المصدر الأول للمعرفة ، كما وصف العقل بأنه مادة الشعور ، ومستقر الصور والأفكار[٣٣] ويقرر أخيرا أن العقل هو الذى يسيطر على حركة التداعى بين الأفكار المتلائمة ، معتمدا على التجاوز فى الزمان والمكان .

أما هيوم الذى كان أكثر تطرفا فى نزعته التجريبية فقد رأى أن قانون السببية يقلل من أهمية تداعى الأفكار . ويقول هيوم إن العقل لا يتألف إلا من إدراكات حسية ، وهذه الإدراكات من نوعين : انطباعات وأفكار . والانطباعات هى مانطلق عليه إجمالا اسم الإحساسات والمشاعر والانفعالات ، والأفكار هى ما نسميه بالخواطر العقلية ، الأولى قوية مفعمة بالحياة ، والثانية ليست غير نسخ باهتة من الأولى . ويقرر هيوم بأنه ليس ثمة « أفكار فطرية » فأفكارنا جميعا مستمدة من التجربة ، وموضوعات أفكارنا مقصورة على ما قد وقع لنا فى الخبرة ، أو ما نتصور أنه من الممكن أن يقع لنا فيها بواسطة الحواس أو الشعور الباطنى . ولكننا – مع هذا – نستطيع أن نفكر فى التنين وفى أشياء أخرى لم ندركها قط إدراكا حسيًّا ، وهذا يرجع إلى قدرتنا على الأفكار المركبة التى لا ترتبط بأن تعكس الواقع حرفيًّا كالمرآة . ويقر هيوم حرية الخيال فى الربط بين الأفكار كما يحلو له ، غير أنه يميل إلى الربط بين الأفكار التى تشابهت انطباعاتها ، أو تجاورت فى الزمان أو المكان ، أو ارتبطت فيما بينها ارتباط العلة بالمعلول[٣٤] .

إن وقفتنا المتأنية ستكون مع كولردج ، فهو إلى الآن ، أكثر من أى فيلسوف آخر ، الأكثر خبرة بطبيعة العمل الإبداعى ، والطريقة التى تتوحد بها عناصره . ولكننا قبل أن نفعل ، وقد تعرفنا إلى أهم أصحاب النظرية المادية ، والقائلين بآلية الترابط ، ينبغى أن نتعرف على

---

(٣٢) النقد الأدبى جـ ١ ص ٣٧١ .

(٣٣) Ibid P. 17.

(٣٤) الموسوعة الفلسفية ص ٤٠٢ و ٤٠٣ .